

حديث الضحاح سنداً و متناً

فلاح رزاق جاسم^١

الملخص

قد أهمل ذكر كثير من الرجال البارزين على امتداد العصور الاسلامية ولم ينصف كثير من الرجال الذين بذلوا العالي والنفيس في خدمة الرسالة. ومن هؤلاء شيخ الاباطح سيدنا ابوطالب عليه السلام فقد تنكر له التاريخ الاسلامي ولم ينصفه رغم انه وقف حياته في سبيل الاسلام وجعل كل إمكاناته ومكانته في قريش لأسناد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأت ذلك التنكر جهلاً منهم بل لأمر أكنته صدورهم لا يخفى على ذوي الفكر والبصائر. والامر هذا يتعلق بولده علي عليه السلام الذي له صولات وجولات معهم على امتداد الخط الرسالي فقد خلقت تضحياته وسيفه البتار المزيد من الحقد والإحن في نفوس القوم ما انعكس على الكتابة عنه وعن والده. فقد ادعي نزول آيات قرآنية بحقه في معرض الذم واحاديث اخرى موضوعة منها حديث الضحاح. من هنا انبثق عنوان البحث فتكفل ببيان هذا الامر وتسليط نظارة التنقيب على هذا الحديث المزعوم بل المختلق سنداً و متناً وجاء في مبحثين، تناول الاول نبذة عما ذكره الكتاب والمؤرخون المنصفون عن هذه الشخصية العظيمة وانتظم الثاني بيان حقيقة حديث الضحاح وقيمته من ناحية السند وال متن لأجل تجلية الحقيقة ورفع الستار عما حاوله المغرضون والمرجفون من أصاق التهم زوراً وبهتاناً بهذه الذات المباركة وجاءت الخاتمة ملخصة لمجمل ما جاء في البحث. على ما حققنا لا يبقى مندوحة للتخرصات والاكاذيب والاقاويل حول هذا الرجل.

الكلمات المفتاحية

الضحاح، السند، المتن، شيخ الاباطح، ابوطالب عليه السلام

المقدمة

لا يزال في التراث الاسلامي فجوات عديدة تحتاج الى مزيد من الجهد والتقصي ممن له علم وعناية بالموضوع. ذلك ان التاريخ الاسلامي في اطواره المختلفة قد خضع لعوامل ومؤثرات خطيرة

١. مدرّس كلية الفقه، جامعه الكوفة، قسم علوم الحديث.

جعلته يسير في ركب الحكومات المتوالية على الحكم فأفقدته صفة الموضوعية والحياد في الولاء والعداء والجرح والتعديل. ومن هنا قد أهمل ذكر كثير من الرجال البارزين على امتداد العصور الاسلامية ولم ينصف كثير من الرجال الذين بذلوا العالي والنفيس في خدمة الرسالة ومن هؤلاء شيخ الاباطح سيدنا ابوطالب عليه السلام. فقد تنكر له التاريخ الاسلامي ولم ينصفه رغم انه وقف حياته في سبيل الاسلام وجعل كل إمكاناته ومكانته في قريش لأسناد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأت ذلك التنكر جهلاً منهم بل لأمر أكتنه صدورهم لا يخفى على ذوي الفكر والبصائر.

والامر هذا يتعلق بولده علي عليه السلام الذي له صولات وجولات معهم على امتداد الخط الرسالي، فقد خلقت تضحياته وسيفه البتار المزيد من الحقد والإحن في نفوس القوم ما انعكس على الكتابة عنه وعن والده وقد ادعي نزول آيات قرآنية بحقه في معرض الذم واحاديث اخرى موضوعة منها حديث الضحاح، فمن هنا انبثق عنوان البحث فتكفل ببيان هذا الامر وتسليط نظارة التنقيب على هذا الحديث المزعوم بل المختلق سنداً ومتناً وجاء في مبشرين، تناول الاول نبذة عما ذكره الكتاب والمؤرخون المنصفون عن هذه الشخصية العظيمة وانتظم الثاني ببيان حقيقة حديث الضحاح وقيمته من ناحية السند والمتن لأجل تجلية الحقيقة ورفع الستار عما حاوله المغرضون والمرجفون من الصاق التهم زوراً وبهتاناً بهذه الذات المباركة وجاءت الخاتمة ملخصة لمجمل ما جاء في البحث وختمته بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة ومن الله نستمد العون والتوفيق.

المبحث الاول: ابوطالب عليه السلام بعين كتب السيرة والمؤلفين

افرد علماء الاسلام حول شخصية أبي طالب عليه السلام مؤلفات متعددة ومفيدة للاستدلال على ايمانه الراسخ وامتدت تلك الكتابات منذ عصر التأليف وعلى مختلف المستويات العلمية والطوائف المذهبية وفي جميع مراحل التاريخ الاسلامي فلم يخلو مؤلف منها عن التأكيد على قضية ايمان أبي طالب عليه السلام. فقد اتفقوا جميعاً على ذلك وتساموا عليه ولا شك أن هذا الاتفاق يكشف عن وثائق علمية تاريخية ثابتة ومتفق عليها فمن خالف هذا الاتفاق فلا يعتد به لكونه خلاف الواقع والمجمع بل المتفق عليه بل مخالف للدليل القائم والحجة الثابتة يضاف الى ان تلك المخالفة لا تصمد امام الدليل العلمي والنقد الموضوعي في حالة الترجيح بين ادلة الخلاف فتسقط جميعها عن الاعتبار والحجبة كما هو متعارف في علم الدراية. وعلى اساس من ذلك الامر فيسقط الجانب المخالف لايمان أبي طالب عليه السلام ويثبت الدليل والبرهان القوي على ايمانه المطلق. ذلك أن ما صرح به كبار العلماء وكتاب السير والمحققون والباحثون هو ان ابا طالب كان موحداً قبل البعثة وعارفاً بحال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكان عارفاً بالبشائر الدالة على بعثته قبل البعثة. فهل تكون نتيجته الكفر من كان موحداً وعارفاً بدلائل النبوة والمنتظر لها ومن عاش ارهاصاتها؟

أجل، ان الايمان قد غمر قلب أبي طالب ﷺ ففاض وطفح قولاً وعملاً صالحاً زاد به عن الاسلام ونبيه، حتى النفس الاخير من حياته المباركة. اصف الى ذلك ما ذكره واصفوه من انه رضوان الله تعالى عليه كان يتمتع بشخصية فذة وزعامة عامة كما كان يتصف بجلائل الخصال وعظيم المفاخر وجميل الفعال والمأثر وكان عالماً كبيراً له دراية في ايام الاوائل والحديث وهو شاعر مفلق له ديوان مطبوع يفيض بالشعر الرائق والنظم البديع. فما حفظته الكتب من شعره اكثر مما حواه الديوان المطبوع وقد كان اديباً لامعاً ذكر المؤرخون له كثيراً من الخطب والمقالات الفصيحة وكان مجاهداً في سبيل الله يعمل الخير لأجل الخير فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسعى دائماً الى قمع جذور الضلال واجتثاث اصول الفساد فقد حرم على نفسه واسرته شرب الخمر وتعاطي الفجور ولعب القمار والتزم بمحاربة الرذائل بكل الوانها واصنافها ومنها عبادة الاوثان والاصنام السائدة يومذاك. وهو من قرر ان تكون دية المقتول اما الف دينار او مائة رأس من الابل وكان يهدف من وراء ذلك الصنيع الثقيل لأجل ان تنخفض نسبة القتل المستشرية في ذلك العصر^٣ وقد اقرها الاسلام.

فاما موقعه بين بني هاشم فكانوا يكبرونه ويقدرونه ويحترمونه ويعظمونه فلا يقطعون بأمر من دونه اذ يأترون بأمره وينزجرون بزواجه ولم يشذ عن ذلك احد منهم ابداً بما فيهم ابولهب فكان ممتناً لأمره وان كان مخالفاً له في الدين ومبايناً له في المعتقد. وما ظهر من أبي طالب من افعال كداعية للرسول ﷺ وكفالة وتأيد ونصرة بالقول والفعل والمال والولد خلاف الكفر بل دليل على ثباته بالمعرفة على الايمان بالرسالة والرسول ﷺ. اجل، الف علماء الاسلام في هذا السبيل كتباً ومصنفات كثيرة جداً وكلها في الدفاع عن شخصية أبي طالب ﷺ وابرار ايمانه ومواقفه من اجل الاسلام والدفاع عن نبيه الاقدس. وقد تنوعت تلك المؤلفات بين ما الف في ايمانه ودفع شبهة الكفر عنه ومنها ما كان منصباً في تاريخ حياته ودفاعه عن الاسلام او ما تركز حول فضائله ومناقبه وما الف عن روايته عن الرسول ﷺ وما كتب عن ديوانه جمعاً وشرحاً وتحقيقاً ومنها ما انصبت حول ادب أبي طالب ﷺ ومنها ما كان مترجماً الى اللغات الاخرى حول شخصيته وما كتبه الكثير من ابناء المذاهب الاسلامية حول ايمانه وادبه.

وقد احصى عبدالله صالح المنتفكي في دراسة مستفيضة ومهمة للغاية مجموع ما كتب وصنف في أبي طالب ﷺ بحسب ما استطاع جمعه واثباته في هذا الصدد فبلغ ١٥١ كتاباً.^٤ ومع كل هذا العدد الضخم من المؤلفات والمصنفات التي تصب بالدفاع عن أبي طالب ﷺ وحقيقة ايمانه ومواقفه المشرفة

٣. ابو طالب وبنوه، ص ١٧.

٤. معجم ما الف عن أبي طالب ﷺ، مجلة تراثنا، ص ١٧١ وما بعدها.

يقف التاريخ ذلك الموقف المناهض لهذه الشخصية والمريب الواهن فقد اغرق البعض نزاعاً في «التحامل على بطل الاسلام والمسلم الاول بعد ولده البار وناصر دين الله الوحيد فلم يقنعهم ما اختلفوه من الاقاصيص حتى عمدوا الى كتاب الله فحرفوا الكلم عن مواضعه فافتعلوا في آيات ثلاث اقاويل نات عن الصدق وبعدت عن الحقيقة بعد المشركين.»^٥ ادعى نزولها في أبي طالب عليه السلام واحاديث اخرى ملفقة ادعوا هي الاخرى قد صدرت بحقه والحق انه:

لو لم يكن ابوطالب ابا علي لما ناله ما ناله ولم يأته البلاء إلا لأنه

ابوعلي.^٦

فلو كان علي ابناً لابي سفيان لما ذكر التاريخ ابا طالب بشيء ولما نال منه او مسه بقضية والمهم هنا ان نتعرف على آراء واقوال جمهرة من اكابر المؤرخين واصحاب السير فيما جاء بحق أبي طالب عليه السلام ومنهم:

- ابن ابي الحديد المعتزلي فقد قال:

واختلف الناس في ايمان أبي طالب فقالت الامامية واكثر الزيدية ما مات الا مسلماً ... وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ ابوالقاسم البلخي وابو جعفر الاسكافي وغيرهما ... وقال اكثر الناس من اهل الحديث والعامية من شيوخنا البصريين وغيرهم مات على دين قومه.^٧

وبعد ذلك يشير الى ان ابا طالب قال:

انا على دين عبدالمطلب.^٨

ثم قال:

وقد قال ابن الاثير في كتاب جامع الاصول: ما اسلم من اعمام النبي صلى الله عليه وآله غير حمزة والعباس وأبي طالب عند اهل البيت.^٩

٥. الغدير، ج٩، ص١١.

٦. ابو طالب مؤمن قريش، ص٧٠.

٧. شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص٦٦.

٨. شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص٦٦.

٩. جامع الاصول، ج٢، ص٢٤٥.

- الشبلنجي: فقد قال بمناسبة تعرضه الى تعداد زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهن:

اولهن خديجة بنت خويلد وكان تزويجه بها بنظرية عمه أبي طالب
وترجيحه وكان صداقها اثنتي عشر اوقية ونصف الاوقية من الذهب
قام به وحده من خالص امواله.

ثم قال:

لقد توفي عبدالمطلب عن اثني عشر ولداً وكان عبدالله والد رسول
الله هو الاخير كما كان ابوطالب هو كبيرهم. لذا قد جعله وصياً له
وعهد اليه امر الكعبة وامر النبوة والوصاية بالمحافظة على رسول الله
واحاطته ... ١٠

- ابن الصبان: فقد ذكر في مؤلفه المطبوع على هامش نور الابصار المعروف بـ «اسعاف
الراغبين»:

لقد كان عبدالمطلب قد كفل رسول الله ﷺ بعد انتهاء مدة رضاعه
ولقد اجاد الكفالة واحسن التربية وقدمه على اولاده واحبائه وعند ما
حضرته الوفاة اوصى به وعهد بأمره الى عمه أبي طالب لفخامته
ومكانته في النفوس ولكونه شقيق عبدالله والد رسول الله وكان
ابومطالب يفتخر بشرف كفالته وتربيته وكان يرى منه الخير والبركة
... وقد زوج ابوطالب النبي من خديجة بنت خويلد على صداق يتكون
من اثنتي عشر اوقية من الذهب الاحمر قام به وحده من دون سائر
اخوته. ١١

- ابن عبد ربه الاندلسي: فقد تحدث في باب ترجمة النبي ﷺ فقال:

هو محمد بن عبدالله ولم يكن لعبد الله غير رسول الله ﷺ، كفله
جده عبدالمطلب بعد ان ولد وكان قد مات عبدالله ومحمد حمل في
بطن امه ثم كفله بعد عبدالمطلب ولده ابوطالب وهو شقيق عبدالله
والد رسول الله ومن ذلك كان اشفق عليه من جميع اعمامه واكثرهم
خدمة له فلقد حماه ودفع عنه المكاره وامتدحه بالشعر وصدقه فيما
يقول وعاضده على دعواه. ١٢

١٠. نور الأبصار، ص ٤٠.

١١. نور الأبصار، ص ٩.

١٢. العقد الفريد، ج ٣، ص ٥٩.

- ابن اسحاق: فبعد ان ذكر كثيراً من شعر أبي طالب وثره الاسلاميين قال:

ان هناك مواقف لأبي طالب تدل بوضوح على ايمانه ودينه مضافاً

الى شعره وخطبه.^{١٣}

- الفخر الرازي: فقد استعرض في تفسيره الشهير ضمن تفسير الآية ٥٦ من سورة القصص ما نقله الزجاج من كلام لأبي طالب عليه السلام وهو يخاطب قومه ويدعوهم الى اطاعة النبي محمد، وتصديقه ... ثم ما جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وعمه في صدد النطق بالشهادة فقال ابوطالب للنبي:

سوف اموت على ملة الاشياع عبدالمطلب وهاشم وعبد مناف.

وبعد ان ذكر الرازي في تفسيره هذا الحوار وما قاله البعض من أن الآية المذكورة نزلت في أبي طالب عليه السلام قال في خاتمة كلامه:

هذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب عليه السلام.^{١٤}

- سبط ابن الجوزي: اكد سبط ابن الجوزي على ايمان أبي طالب عليه السلام قائلاً:

كون أبي طالب من اهل الجنة ما لا ينبغي التأمل فيه وان شواهده اكثر من ان تذكر منها: اهتمامه بكفالة النبي المختار ونصرته له و اهتمامه بدفع اذى الاشرار والكفار عنه وجزع النبي صلى الله عليه وسلم عند موته وتسمية عامه بعام الحزن لموته وموت خديجة واستغفاره له في طول ايام ولا يرتاب استجابة دعائه لا سيما مع الإصرار.^{١٥}

- جلال الدين السيوطي: فقد روى مسنداً عن ابي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله: بُعثت ولي اربعة عمومة فأما العباس فيكنى بأبي الفضل (فله الفضل) الى يوم القيامة، وأما حمزة فيكنى بأبي يعلى فأعلى الله قدره في الدنيا والاخرة واما عبدالعزى فيكنى بأبي لهب فأدخله الله النار وألهبها عليه وأما عبد مناف فيكنى بأبي طالب فله ولولده المطاولة والرفعة الى يوم القيامة.^{١٦}

١٣. المغازي، ص ٦٢.

١٤. التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٥-٢٥.

١٥. تذكرة الخواص، ص ١٠.

١٦. الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٤٠٩.

- البرزنجي وائمة الاشاعرة: لقد استعرض السيد احمد زيني دحلان كوكبة من البراهين التي اقامها العلامة البرزنجي الشافعي في اثبات ايمان أبي طالب معقباً على كل دليل بما يناسبه من التعليق ومن ذلك قوله:

فلولا انه مصدق بدينه لما رضي لأبنه ان يكونا معه وان يصليا معه بل ولا كان يأمرهما بالصلاة فان عداوة الدين اشد العداوات كما قيل:

كل العداوات قد ترجى اماتها الا عداوة من عاداك في الدين

فهذه الاخبار كلها صريحة في ان قلبه طافح وممتلئ بالأيمان بالنبي ﷺ^{١٧} ثم علق بعد صفحات، وهذا الذي اخترناه من كون نجاة

أبي طالب لما كان عنده من التصديق الكافي في النجاة في الآخرة هو طريق المتكلمين من ائمتنا الاشاعرة وهو ما دلت عليه احاديث الشفاعة واحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لا تتال مشركاً وقد نالت الشفاعة ابا طالب...^{١٨}

- الألويسي: فقد قال في سياق تفسير الآية ٥٦ من سورة القصص:

إن مساق الآية لتسلية النبي ﷺ حيث لم ينجع في قومه الذين يحبهم ويحرص عليهم اشد الحرص انذاره ﷺ اياهم وما جاء به اليهم من الحق بل اصروا على ما هم عليه وقالوا: لولا اوتي مثل ما اوتي موسى ثم كفروا به وبموسى عليهما الصلاة والسلام فكانوا على عكس قوم هم اجانب عنه ... ومسألة اسلامه - اسلام أبي طالب - خلافية وحكاية اجماع المسلمين او المفسرين على ان الآية نزلت فيه لا تصح. فقد ذهب الشيعة وغير واحد من مفسريهم الى اسلامه وادعوا اجماع ائمة اهل البيت ﷺ على ذلك وان اكثر قصائده تشهد له بذلك وكأن من يدعي اجماع المسلمين لا يعتد به بخلاف الشيعة ولا يعول على رواياتهم.^{١٩}

١٧. اسنى المطالب، ص ١٧.

١٨. اسنى المطالب، ص ٢٩.

١٩. روح المعاني، ج ٢٠، ص ٨٤.

- العلامة احمد زيني دحلان: فقد قال هذا العالم الشافعي:

ان بغض أبي طالب كفر ... ونص على ذلك أيضاً من ائمة المالكية
العلامة علي الاجهوري في فتاويه والتلمساني في حاشيته على الشفا
فقال عند ذكر ابي طالب: لا ينبغي ان يذكر الا بحماية النبي ﷺ
لأنه حماه ونصره بقوله وفعله وفي ذكره بمكروه اذية للنبي ﷺ
ومؤذي النبي كافر والكافر يقتل وقال ابوطاهر: من ابغض ابا طالب
فهو كافر والحاصل ان اىذاء النبي ﷺ كفر يقتل فاعله ان لم يتب
وعند المالكية يقتل وان تاب ... قال العلامة الدحلاني: ان كثيراً من
العلماء والمحققين وكثيراً من الاولياء والعارفين ارباب الكشف قالوا
بنجاة أبي طالب منهم القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون
وقالوا هذا الذي نعتقه وندين الله به ... فقول هؤلاء الائمة بنجاته
اسلم للعبد عند الله تعالى.^{٢٠}

ثم ذكر ابياتاً لأبي طالب عليه السلام منها:

ألم تعلموا انا وجدنا محمدًا نبياً كموسى خُط في اول الكتب

قال:

وهذا الشعر اذا تأمله المنصف رآه محض الاقرار بالنبوة والاعتراف
بالرسالة. هذا البيت من قصيدة لأبي طالب عليه السلام قالها في زمن محاصرة
قريش لهم في الشعب وهي قصيدة طويلة بليغة غراء تدل على غاية
محبه للنبي ﷺ وعلى التصديق بنبوته وشدة حمايته له والذب عنه.^{٢١}
عنه.^{٢١}

- عبد العزيز سيد الاهل: فقد قال:

أما بنو عبد مناف وبنو زهرة انضوا جميعاً تحت لواء أبي طالب ولم
يكن لهم شأن بالإلهة والاصنام... واشترط ابوطالب عند بناء الكعبة
ان لا يدخل في بنائها لبنة ولا طينة الا من كسب طيب ولا ينفق

٢٠. اسنى المطالب، ص ٦٠-٦١.

٢١. اسنى المطالب، ص ١٠.

عليها من كسب امرأة بغي ولا من ربح جاء من ربا ومال كانت فيه
مظلمة لأحدٍ من الناس ولا يرش على طينها ماء الا في اناء مطهر
ولا يحمله الاكل كريم شريف.^{٢٢}

ثم يروي عبدالعزيز خبر وقصة الصحيفة التي كتبها قريش ضد بني هاشم وحصارهم في الشعب
ويواصل كلامه في سيرة ومسيرة أبي طالب في هذا الموقف فيقول:

وطلب ابوطالب الى النبي ان يغدوا الى فراشه كل ليلة مبكراً قبل
ان يلجأ الناس جميعاً الى فرشهم حتى اهل بيته كي يراه الناس جميعاً
في فراشه وأوى الى مضجعه ونام الناس جميعاً وهدأ الشعب في
سكون الليل وسكون النوم ولف الشيخ الهرم خفيفاً متمهلاً على
اطراف قدميه، فأيقظ النبي واخذه الى فراش غير الذي نام فيه وجعل
في فراش النبي اهداً من ابناؤه او اخوته او بني عمه. فاذا حدثت اهداً
نفسه بشر لم يهتد اليه وجعل ابوطالب يغير موضع النبي ومرقده ويكتم
ذلك على الناس جميعاً فلا يعرفه احد وقد يغير للنبي موضعاً
وموضعين في الليلة الواحدة لئلا يعلم احد ممن ناموا في مرقده. اين
هو يفعل ذلك كل ليلة من ليالي الشعب لا يسأم ولا ينسى ثلاث
سنين فيها مئات طوال من الليالي والايام ...^{٢٣}

- جورج جرداق المسيحي: يتحدث هذا المؤرخ المسيحي عن بعض ما لعن النبي ﷺ العظيم
أبي طالب من المقامات الشامخة والمشاهد المعروفة والمواقف الحميدة والخدمات الجليلة
وما اختص به من مؤازرته للرسول الاعظم ومحاماته او دفاعه عن الاسلام فيقول:

وقد كفل ابوطالب محمداً فصار يحيا في جو الحنان والدعة وحسن
التربية الذي خلفه الاب الراحل للابن المقيم وما ذلك منه الا استئناساً
بما يعرفه من امره وما يدركه من نفسيته المنطبعة على حب محمداً
والتفاني في سبيله وان كان ذلك لا يفقده اكثر ابناؤه الا ان الذي
يحملة ابوطالب ناشئ عن تفهم وتعقل لحقيقة محمداً وتصور لواقعه
المرتقب. فلذا كان اسناد الكفالة اليه خاصة دون غيره من الابناء
الكرام... وشخصية أبي طالب شخصية جميلة تطلعننا بحكمة الشيخ

٢٢. ابو طالب عم النبي، ص ١٧.

٢٣. ابو طالب عم النبي، ص ٧١-٧٤.

المجرب الذي يضع كل ما اوتي من طيبة وأمانة وتجربة موضع العمل والتنفيذ. كأن الله عزوجل لما اختار رسوله من بني عبدالمطلب اختار تشبته وامانة لتنشئة هذا العم الكريم وكأن قوة الوجود الشاملة هيأت لأبي طالب ان يعلم من امر ابن اخيه ما لا يعلمه غيره فاذا ما في أبي طالب يشف في نفس محمد فاذا هي جزء من ذاته يتكون وينمو تحت نظرة العم المحب وكان ابوطالب اول من قال الشعر في الاسلام يفيض بالحب لمحمد ويدعو لنصرته ... ولم ينس ابوطالب دقيقة واحدة في حياته وانما هو عبقرية الخلق التي تميز بها بصورة عفوية واخوه عبدالله وابوهما عبدالمطلب الذي شعر رسول الله بفقده انه فقد اعظم ركن يستند اليه ويدفع عنه اذى قريش وما كان الشعور والاحساس الا تدليلاً على تجاذب اسباب الخير بين محمد وعمه رب البيت الذي نشأ فيه وسما فيه خلقه ... وتستمر صلة المودة والاخاء بين محمد وعلي ويستمر بينهما تعاطي الخير على انجاح الرسالة، هذا التعاطي الذي يتماسك في اعماقه ويتحد منذ ان عرف محمداً ومنذ ان اجتمع الثلاثة في بيت واحد قام على مزايا الشهامة وما كانت خصائص البيت الطالبي الا حافزاً لأبي طالب وابنه على فهم عبقرية محمد فهماً يتمثل لدى الاول شعوراً وتضحية ولدى الثاني فكراً جباراً وشعوراً عميقاً اشبه بصنع المعجزات.^{٢٤}

- حسن الامين: وتحدث هذا الكاتب الكبير في مجلة العربي الكويتية عن موضوع اسلام عم النبي ﷺ الزعيم أبي طالب ﷺ فيقول:

لا أدري لم هذا الاصرار على تكفير أبي طالب كافل النبي وحاميه والمتفاني في سبيله واذا كان لبعض الماضين غاية في الاساءة الى علي بن أبي طالب وبنيه البررة فروجوا لهذه الفكرة فلا احسب اليوم انه يوجد من يبغى الاساءة الى علي واستغلال هذا الامر فإنا نعجب من هذا الاصرار في هذه العصور. ان الآية التي استشهد بها السيد محمود حواس في العدد مائة وثمانية من مجلة العربي في تعليقه على ما كتبه لم تنزل في هذا الموضوع والذين كان من مصلحتهم الطعن

٢٤. الامام علي صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ١٥٤.

في علي بشتى وسائل الطعن هم الذين اخترعوا لنزولها هذا السبب كما انهم هم انفسهم الذين ارادوا حمل بعض رواة الحديث على الادعاء بأن آية: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ آخِرَتَٰنَا انما نزلت في علي بن أبي طالب وبذلوا لذلك الاموال الطائلة ونحن لا نجهل ان القرآن الكريم وأن الحديث الشريف قد استغلا اسوأ استغلال لتأييد الاغراض السياسية والمنافع الدنيوية وان ذلك جرى في عهد الرسول لما جعله يخطب على المنبر: لقد كثرت علي الكذابة، واذا كانت الكذابة قد كثرت عليه في حياته فكيف يكون الامر بعد وفاته وبعد تحول الاحوال واستفحال المطامع. ان ابا طالب الذي تحمل ما تحمل في تأييد الدعوة الاسلامية لا يمكن ان يكون غير مسلم ابداً ولو لم يتحمل الا الحصار في الشعب الذي فرضته قريش عليه ثلاث سنين فلاقى فيه ما لاقى مما لا يمكن ان يصبر عليه الا المؤمنون الصابرون ولقد استثنى هذا الحصار ابا لهب اخا أبي طالب لأنه لم يسلم وقد كان يكفي ابا طالب بقاءه على الشرك لينجوا من فظاعة الحصار واهواله ولا اعتقد ان ابا طالب يستحق ان يجازى على ما قدم للإسلام والمسلمين ان يشهر به بالباطل.^{٢٥}

وهناك اقوال وآراء وتصريحات اخرى كثيرة لجملة من العلماء والباحثين والمدققين تركناها خوف الاطالة واكتفينا بذكر هذا النزير لكونه يكفي للتدليل على ايمان أبي طالب عليه السلام بعد اعترافات اولئك الاعلام المستندة الى القرآن الكريم والسنة الشريفة وتحكيم العقل من خلال المواقف المشهودة والمشاهد المعروفة التي تنص وتدلل على ايمان هذه الشخصية العظيمة ومدى تفاديها في الدفاع عن الاسلام ونبية الاقدس. ولعل ما يضاف الى ما سبق ذكره من شهادات واعترافات لأولئك الكتاب والعلماء للتدليل على ايمان أبي طالب عليه السلام من موافقه هو ديوانه الطافح بالشعر الدال على الوحدانية والمصدق بنبوة الرسول الاكرم.^{٢٦} بل من اقوى الادلة وافحماها على ذلك هو عدم تفريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين عمه وزوجته فاطمة بنت اسد بالفراش فلو كان مشركاً والعياذ بالله لفرق بينهما نزولاً عند قوله تعالى:

وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَارِ.^{٢٧}

٢٥. مقال في مجلة العربي الكويتية، العدد ١١، ص ٥٢.

٢٦. ينظر: ديوان أبي طالب عليه السلام بطبعاته المتعددة وتحقيقاته لبيان جلية الحال.

٢٧. الممتحنة، ١٠.

وقوله تعالى:

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا. ٢٨

فلو لم يكن ابوطالب عليه السلام مؤمناً لما سمح له النبي صلى الله عليه وآله ان يتزوج فاطمة بنت اسد كونه مشركاً والعياذ بالله بل لا يحق للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله، الاستغفار له ومعاشرته بكل صنوفها لإصراره وعناده وتكبره معاذ الله لقوله تعالى:

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيٰ

قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. ٣٩

الى غيرها من الآيات الدالة على ذلك، والعجب كل العجب ممن ينعت ابا طالب عليه السلام بالشرك وعدم الايمان بعد تصريحاته المتعددة في اشعاره الرائقة بما هو صريح في دعوته وايمانه وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله ومن ذلك قصيدته البائية ومنها:

ألم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في اول الكتب ٣٠

او في قصيدته اللامية الغراء ومنها:

ألم تعلموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل ٣١

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

او قصيدته النونية العصماء ومنها:

وعرضت ديناً قد علمتُ بأنه من خير اديان البرية ديناً ٣٢

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا

الى غيرها الكثير من الابيات الطافحة بأيمانه والعامرة بصدقه والغارقة بثباته وأي بيان اصرح من هذا البيان بل أي اعتراف انصع منه للتدليل على قوة ايمانه وصدقه لولا المجادلة بالباطل والاصرار على انكار الحقائق ولو كانت بوضوح النهار والعداء الصارخ لأهل الحق والايمان لدوافع غير خافية.

٢٨. البقرة، ٢٢١.

٣٩. التوبة، ١١٣.

٣٠. ديوان ابي طالب، ص ٦٧.

٣١. ديوان ابي طالب، ص ١٢٠.

٣٢. ديوان أبي طالب ، ص ١٥٨.

الأكاذيب والمفتريات بما حاول دسه الامويون واسيادهم وزعيمهم معاوية بن ابي سفيان ومن ذلك ما جاء في حصة أبي طالب عليه السلام من الاقويل فقد حيكحت حوله الارجيف وراحت الايدي الاثمة تختلق له مزورات التاريخ من الروايات المزورة والملفقة وتكيل لهم التهم بتحريف الآيات عما انزل الله بادعاء التشكيك واثارة الشبهات وايجاد سماسرة لها من الرواة يحيكون تلك الروايات وزرع الشكوك دون وازع او رادع وما وراء تلك الدوافع الا نوازع الحقد المتوارث وايدي السياسة التي لها اليد الطولى. كل ذلك لأحقاد جاهلية دفينه طبع عليها بنو امية ومن لف لفهم حتى تنامى الشك وكاد ان يصبح حقيقة وتلاففته الرواة والاقلام وحاولت صبه في وعاء العلم فلم يبق الا ان تتناول هذا الامر بالبحث والتقصي والتحقيق الذي هو حديث الضحاح المزعوم ضمن الاحاديث المختلفة الاخرى والمدونة في اشهر الصحاح والمسانيد للطعن في هذه الشخصية البارزة والمؤثرة في التاريخ الاسلامي بقصد النيل من تأثيرها في المسيرة الاسلامية وبخس حقها وتاريخها المضيء فضلاً عن الحقد المكنون لدوافع جاهلية ونوازع قبلية وشخصية فما علينا الا نضع هذا الزور المفتعل والبهتان الآثم تحت مطرقة النقد ومجهر التحليل لتبين الحق من الباطل ونرى جلية الحال.

ان حديث الضحاح من اشهر الاحاديث الموضوعة التي بهتت ابا طالب والتي رويت في الصحيحين البخاري ومسلم وقد اعتمدته بقية الصحاح والسنن والمسانيد وحتى كتب التاريخ وسنعمدها ان شاء الله اساساً في البحث ومناقشتها بألقاء الضوء عليها لبيان زيفها وذلك من خلال المتن والسند.

١. لفظ حديث الضحاح في كتب الصحاح

١/١. الجامع الصحيح

في الجامع الصحيح للبخاري فقد اخرجه في خمسة طرق.

- الاول منها قال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سفيان حدثنا عبد الملك حدثنا عبد الله بن الحارث حدثنا العباس بن عبدالمطلب قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما اغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: هو في ضحاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار.^{٣٧}
- واخرجه ثانياً فقال: حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابوعوانه حدثنا عبد الملك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عباس بن عبدالمطلب قال: يا رسول الله هل نفعت ابا طالب بشيء؟
- واخرجه ثالثاً قال: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن ابي سعيد الخدري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

٣٧. الجامع الصحيح، ابواب المناقب (باب قصة أبي طالب)، ج ٥، ص ٥٢.

- واخرجه رابعاً قال: حدثنا ابراهيم بن حمزة حدثنا ابن ابي حازم والدراوردي عن يزيد بهذا وقال: تغلي منه ام دماغه.^{٣٨}

- واخرجه خامساً بنفس السند المتقدم عن يزيد عن عبدالله بن خباب الى اخر ما جاء في الثالث وفيه تصريح بعمه ابي طالب.^{٣٩}

٢/١. صحيح مسلم

في صحيح مسلم الحديث الثاني الذي عن البخاري قال:

- حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ومحمد بن أبي بكر المقدمي ومحمد بن عبد الملك الاموي قالوا: حدثنا ابوعوانه عن عبد الملك بن عمير الى ما جاء في سند ومتن ما عند البخاري برقم.

- واخرجه ثانياً قال: حدثنا ابوعمر حدثنا سفيان عن عبد الملك بن ابي عمير عن عبدالله بن الحارث قال سمعت العباس يقول قلت: يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحاح. ثم قال مسلم: وحدثني محمد بن عنب حاتم عن يحيى بن سعيد عن سفيان قال: حدثني عبد الملك بن عمير قال: حدثني عبدالله بن الحارث قال: اخبرني العباس بن عبد المطلب.

- قال: وحدثنا ابوبكر ابي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان بهذا الاسناد عن النبي ﷺ بنحو حديث ابي عوانه ذاكراً الثالث السالف الذكر بسنده عن قتيبة بن سعيد عن الليث الى اخر ما مر سنداً ومتناً.^{٤٠}

٣/١. مسند احمد

في مسند احمد بن حنبل:

- وجاء فيه حديث وكيع عن سفيان عن عبد الملك بن عمير الى نهاية السند فيما مر من حديث البخاري ومسلم، والحديث نفسه جاء كذلك بسنده عن ابي عوانه الخ وكذلك جاء بسنده عن سفيان عن عبد الملك بن عمير.^{٤١}

- وجاء ايضاً بسنده عن قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد عن ابن الهاد عن عبدالله بن خباب عن ابي سعيد الخدري المار ذكره عن صحيح البخاري. وجاء ايضاً الحديث السابق نفسه سنداً ومتناً مكرراً.^{٤٢}

٣٨. الجامع الصحيح، كتاب الأدب (باب كنية المشرك)، ج٨، ص٤٦.

٣٩. الجامع الصحيح، (كتاب الرقاق)، ج٨، ص١١٦.

٤٠. صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، ج١، ص١٣٤ و١٣٥.

٤١. صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، ج١، ص٢٠٧.

٤٢. صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، ج٣، ص٨ و ج٣، ص٥٠.

- وجاء نفس الحديث كذلك برواية احمد بن حنبل عن هارون بن معروف عن ابن وهب عن حيوة عن ابن الهاد عن عبدالله بن خباب بما مر سنداً وامتناً.^{٤٣}

٤/١. الطبقات الكبرى

في كتاب الطبقات لابن سعد: وفيه اخبرنا عفان بن مسلم وهشام بن عبدالملك ابوالوليد الطيالسي قالاً: نا^{٤٤} ابوعوانه نا عبدالملك بن عمير عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبدالمطلب قال: قلت هل نفعت ابا طالب بشيء؟ فانه كان يحوطك ويغضب لك قال: نعم هو في ضحاح من نار ولولا ذلك لكان في الدرك الاسفل من النار.^{٤٥}

هذه هي عمدة المصادر الذاكرة لرواية الضحاح ومن اهمها اعتماداً في مدرسة الصحابة والا فهناك مصادر اخرى لا حاجة لذكرها كونها اجترت ما جاء عند هؤلاء المذكورين والان وقبل النظر في اسانيد هذه الرواية المختلقة ينبغي وقبل كل شيء الاشارة الى ما جاء من التناقض في المتن المروي عند صحيح البخاري الذي قالوا فيه انه اصح كتاب بعد كتاب الله وان من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة ففي الاحاديث الخمسة المذكورة عنده اكثر من هنات سنداً وامتناً ففي المتن لا يخفى التناقض الموجود بين حديثي العباس وابي سعيد اما في الاول ففيه: هو في ضحاح من نار ولولا انا لكان ... فالضحاح في هذه الرواية موجود والعذاب حاصل تماماً. اما في حديث سعيد ففيه: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحاح من النار ... والمفهوم منه ان الضحاح لم يعذب فيه بعد بقرينة «لعله» و«فيجعل» ما حصله ان العذاب في هذه الرواية مؤجل وليس بواقع ففي هذين المتنين تناقض فاضح. اما باقي المتون في المصادر الباقية فهي متشابهة عما جاء في صحيح البخاري فلا حاجة لذكرها.

٢. نظرة فاحصة في اسانيد هذه الروايات

ولا بد أولاً من البدء بأسانيد البخاري للزعم القائل انه اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى للنظر في سند الرواية وبيان من هم هؤلاء الرواة الذين تسقط بهم الرواية وتتعرض عن الصحة. فالمدار في هذه الاسانيد عنده على سفيان عن عبدالملك بن عمير كما جاء في سند الحديثين الاول والثاني بزيادة ابي عوانه فيهما وسفيان هذا هو الثوري وهو مدلس ويكتب عن الكذابين.^{٤٦} ومن الواضح سقوط رواية المدلس عند علماء الحديث لزمه عند العلماء بل هو مجروح عندهم والتدليس اخو الكذب وقد كتب علماء الحديث في التدليس والمدلسين وافاضوا بما يحسن الرجوع اليه.^{٤٧}

٤٣. صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، ج ٣، ص ٥٥.

٤٤. حرف (نا) تعبير عن قوله حدثنا أو أخبرنا.

٤٥. الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠٦.

٤٦. الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠٦.

٤٧. التدليس والمدلسون، تدليس الشيخ عبد السلام ابو سمحه.

ومنهم عبدالملك بن عمير:

قال فيه احمد: مضطرب الحديث وقال ابن معين مختلط وقال ابوحاتم: ليس بحافظا تغير حفظه وقال ابن خراش: كان شعبه لا يرضاه وذكر الكوسج عن احمد: انه ضعفه جداً.^{٤٨}
وذكره الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين وذكر بعض ما مر فيه.^{٤٩}

ومن المعلوم انه كان قاضياً للأمويين بالكوفة^{٥٠} وهو الذي قام بجريمة ذبح عبدالله بن يقطر بعد امر ابن زياد بإلقائه من اعلى القصر فتكسرت عظامه وقام عبدالملك بن عمير على اثرها بذبحه ولما عيب عليه فعله الشنيع هذا قال:

أردت ان اريحه.^{٥١}

ابو عوانه هو وضاح بن عبدالله الشكري وهو مجروح عند علي بن المديني^{٥٢} وقال فيه احمد بن حنبل:

كان ابوعوانه وضع كتاباً فيه معايب اصحاب رسول الله ﷺ وفيه بلايا.^{٥٣}

وذكر الذهبي عن يحيى قال:

كان ابوعوانه امياً يستعين بمن يكتب له.^{٥٤}
هذا ما كان من الخلل في اسناد الحديث الاول والثاني اما العلة في اسانيد الثالث والرابع والخامس فلوجود عبدالله بن خباب وهو مجهول الحال. قال السعدي:

عبد الله بن خباب الذي يروي عنه ابن الهاد سألت عنه فلم ارحم يقفون على حده ومعرفته.^{٥٥}

٤٨. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٥١؛ تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤١١.

٤٩. ديوان الضعفاء والمتروكين، ج ٤، ص ٢٠.

٥٠. سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٠.

٥١. تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٩٨.

٥٢. سؤالات ابن أبي شيبة، ص ٨١.

٥٣. كتاب العلل، ج ١، ص ٦٤.

٥٤. سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٩٤.

٥٥. الضعفاء للعقيلي، ج ٤، ص ٢٣٦.

وقال الجوزجاني:

لا يعرفونه.^{٥٦}

وفي سند الرواية أيضاً: الدراوردي:

قال ابو حاتم: لا يحتج به. وقال ابو زرعه: سيء الحفظ. وقال احمد:

اذا حدث من حفظه يهمل ليس هو بشيء واذا حدث من كتابه فنعم

واذا حدث جاء ببواطيل.^{٥٧}

وهذه هي حال رجال اسانيد البخاري لحديث الضحاح فهل ان كتابه اصح كتاب بعد كتاب الله بعد هذا البيان الصريح من قبل ائمة الجرح والتعديل عندهم؟

اما حال رجال اسانيد مسلم في صحيحه ففيهم من مر ذكره في رجال اسانيد البخاري ونفس ما قيل هناك يقال هنا بحقهم وكذلك في رجال اسانيد احمد بن حنبل فهم من سلف ذكرهم في رجال اسانيد الصحيحين والكلام نفسه يكون هنا بحقهم اما الكلام في رجال السند عند ابن سعد في الطبقات ففيهم ابوعوانه وعبد الملك بن عمير وقد ورد ذكرهم في رجال البخاري على ان اول رجاله هو شيخه عفان بن مسلم فقد ذكره العقيلي وعده من الضعفاء وحكى عن سليمان بن حرب قوله فيه:

كان بطيئاً رديء الحفظ بطيء الفهم.^{٥٨}

وكان من بلاط الدولة يعطى راتباً كل شهر الف درهم ولما امتحن ايام المأمون في مسألة خلق القران قالوا:

انه لم يصبه اذى سوى قطع راتبه.^{٥٩}

فكان من السائرين في ركب السلطان. اما بقية رجال الاسناد المتهالك فمنهم عبید الله القواريري فلا يوجد له اثر في ميزان الاعتدال وقد قلل من شأنه الشيخ الاميني كون البخاري ومسلم لم يأخذا منه الا عدة احاديث^{٦٠} ومنهم محمد بن أبي بكر المقدمي وهو مجهول.^{٦١}

٥٦. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٤١٢.

٥٧. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٢٨.

٥٨. الضعفاء للعقيلي، ج ٤، ص ٣٨٤.

٥٩. سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٦.

٦٠. الغدير، ج ٩، ص ٢٥٩.

٦١. ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٦.

اما محمد بن عبد الملك الاموي فيكفي في شأنه انه اموي وطبيعي ان يضع مثل هكذا حديث او ما يماثله في حق شيخ البطحاء عليه السلام واذا كان المقصود به هو محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم فيكفي ان اباه عبد الملك الطاغية الاموي وجديه هما ملعونان على لسان النبي الاقدس صلى الله عليه وسلم، وهما الوزغان والحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم.^{٦٢}

ومن الرجال ما في هذه الاسانيد ابوبكر بن ابي شيبة: عده الذهبي من مجاهيل الاسم^{٦٣} ولم نعلم من هو وكيع في هذه السلسلة كذلك فاذا كان وكيع بن الجراح فقد نعت ابن المديني بانه يلحن قال و لو حدثت بلفظه لكانت عجباً كان يقول حدثنا الشعبي عن عائشة^{٦٤} فهو غير مقبول.

ومنهم قتيبة بن سعيد، يقول عنه الذهبي:

لا يدري من هو.^{٦٥}

واما الليث فهناك مجموعة منهم المجهول والضعيف والمنكر والمضطرب الحديث فان يكن المقصود الليث بن سعد فقد قال عنه يحيى بن معين:

انه كان يتساهل في الشيوخ والسماع.

وذكره النباتي في تذييله على الكامل وهو كتاب في الضعفاء.^{٦٦}

واما ابن الهاد فهو يزيد بن عبدالله بن الهاد فقد ذكره ابو عبد الله بن الحذاء في «باب من ذكر بجرح من رجال الموطاء» وقال عنه ابن معين:

يروي عن كل احد.^{٦٧}

وبعد كل الذي سلف من ذكر لحال هؤلاء الرجال فهل يبقى من قيمة لأولئك في سوق الاعتبار وهل يصدق القول ان الصحيحين بعد كتاب الله؟ وما هذا التهافت وتلك الخدشات في سلسلة هذه الاسانيد المتهالكة الا شظايا في طريق التوعر لهذا الاسناد المكذوب بلسان علماء وائمة الفن من اهل الجرح والتعديل وهل تبقى قيمة تذكر لرجال هذه الاسناد وهم ما بين مدلس وكذاب وضعيف وسيء الحفظ ومجهول ونحوها وكلها صفات تحط من قيمة الراوي والمروي في عرف المحدثين

٦٢. الغدير، ج٩، ص٣٧٠.

٦٣. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٩٥.

٦٤. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٧٨.

٦٥. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٤٥.

٦٦. ميزان الاعتدال، ج١، ص٣٦١.

٦٧. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣١٤.

واشياخ الرجال وفق موازين وضوابط الرواية في القبول والرد فهي مردودة قطعاً بل مكذوبة ومختلفة اصلاً باعتبارها رجال القوم فلا يبق للقيمة لسندية شأن يذكر في هذا المقام.

٣. نظرة فاحصة في متن الحديث

ولما لم يتسن للحديث الصمود امام المناقشة السندية فلم يلبث الا ان يتهاوى، فيبقى الكلام عن مناقشة المتن وبيان الهنات والتهافت الوارد فيه واول ما يطالعنا فيه كلمة «الضحاح» التي تتنافى في الاستعمال مع فصاحة وبلاغة الرسول الأعظم ﷺ الذي هو افصح من نطق بالضاد. ذلك ان العرب قد استعملوها في الماء فهل يمكن تصديق استعمال النبي ﷺ لها في النار وهو السيد العربي الفصيح؟ قال اهل اللغة:

والضحاح من الضح الشمس وقيل هو ضوءها اذا استمكن من الارض. قال ابو الهيثم: الضح نقيض الظل وهو نور الشمس الذي في السماء على وجه الارض ... قال خالد بن كلثوم ضحاح في لغة هذيل كثير لا يعرفها غيرهم يقال عنده ابل ضحاح قال الاصمعي: غنم ضحاح وابل ضحاح كثيرة هي المنتشرة على وجه الارض ... والضحاح هو الماء اليسير كالضحح - السراب - او الى الكعبين او انصاف الساق او ما لا غرق فيه والكثير بلغة هذيل.^{٦٨}

فاذا كان هذا هو المراد من المعنى الصحيح في الاستعمال فكيف يجوز نسبة الاستعمال غير الصحيح الى الرسول الاكرم، واذا ما قيل ان الضح: الشمس، ضوء الشمس و ما اصابته الشمس كما في المعنى الاخر، وضح وضحح والسراب بمعنى ترقق، وتضحح الامر، تبين والضحاح الماء اليسير او القريب القعر، فعليه ان الضحاح الضوء او ما اصابته الشمس وقد يطلق على الماء اليسير وهذا الاخير هو الاقرب كونه يسيراً لا يتجاوز الكعبين لو وقف فيه الانسان.

اما كون الضحاح ناراً كما جاء في الرواية المختلفة فلا يستقيم مع المراد لان النار ليست كالماء فقليلها يكفي لاحتراق الجسد كون النار محرقة عادة فلماذا لم يحترق ابوطالب منذ تلك الفترة؟ واذا كان الضحاح هو الماء في لغة العرب فكيف يطلقونه على النار فمن شأن الماء البرودة والاطفاء، اما النار فشانها الاحراق وهو اطلاق في غير محله وبلا مناسبة تذكر وعليه كيف ساغ للنبي ﷺ وهو سيد الفصحاء ان يطلق هذه اللفظة على النار والحال انها مخصصة للماء في لغة العرب؟ فأين فصاحته وبلاغته؟ فهذا ما يمكن معه الجزم باختلاق الرواية. ثم ان في رواية الشفاعة اذا كان النبي ﷺ يحق له ذلك فلماذا لم يتكرم على عمه بموجبها ليخرجه من النار الا يعد هذا مخالفة لموضوع الشفاعة؟

٦٨. لسان العرب، ج ٤، ص ٢٥، مادة ضحح؛ تاج العروس، ج ٤، ص ١٣٣.

وإذا ما كانت الشفاعة تدخر لأهل الكبائر بموجب الآيات القرآنية والروايات الشريفة فلماذا يبخل بها النبي ﷺ على عمه فيدعه في الضحاح مع تلك المواقف لعمه التي اثبتتها التاريخ فضلاً عن مكافحته ومنافحته عن النبي ﷺ على ما اثبتته المؤرخون الاثبات فليس من اخلاقه ولا من ادبه ان يدع عمه يتلظى في الضحاح مع كل تلك المشاهد والدفاع عنه. وهل يسوغ للنبي ﷺ ان يشفع لعمه وقد امتنع من اداء الشهادتين كما يزعمون؟ ان دلالة افتعال هذا الحديث كونه يتناقض مع الآيات الكريمة الناهية عن ذلك كقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. ٦٩

وقوله تعالى:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ. ٧٠

وقوله تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُوا
عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا. ٧١

وقوله تعالى:

وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ
الشَّافِعِينَ. ٧٢

فلو مارس النبي ﷺ دور الشفاعة هنا لعمه الكافر العياذ بالله لخالف الآيات الكريمة المتقدمة وغيرها الكثير بما يعد عناداً ومراغمة منه و مقابل ذلك الزجر والنهي وممالة لعمه نعوذ بالله. اضع الى ذلك ان الاخبار الكثيرة في الشفاعة «ادخرت ليوم القيامة بشرط ان يكون المشفوع له يشهد الشهادتين فتعجيل شفاعته لأبي طالب بتخفيف العذاب مخالف لنصوص تأخير الشفاعة ليوم القيامة.» ٧٣

٦٩. التوبة، ٢٣.

٧٠. الفتح، ٢.

٧١. فاطر، ٥٦.

٧٢. المدثر، ٤٨.

٧٣. أبو الأئمة الأطهار سيد البطحاء أبو طالب، ص ٥٠٧.

ثم ان الشفاعة تكون في الاخرة فكيف يتسنى للنبي ﷺ ان يشفع في حال الدنيا؟ بضميمة ان ابا طالب لا زال في عالم البرزخ فكيف يشفع له والحال ان الشفاعة مدخرة ليوم القيامة بما هو مقطوع به؟ كل هذه الإلزامات فيها دلالة قاطعة على افتعال رواية الضحاح واذا ما كانت الشفاعة مشروطة بالنطق بالشهادتين فهل نطق بهما ابوطالب ام لا؟ ولو اردنا ان نسترسل في المناقشة لأمكن القول ايضاً انه لم نجعل لأبي طالب نار خفيفة تصل الكعبين فقط واذا ما اصاب تلك النار نعليه فلماذا صارت بمثابة المرجل يغلي منها دماغه؟

واذا ما عرفنا كل هذه الحقائق يجدر السؤال حول السر في اطلاق هذا الحديث المفتعل وما هي حقيقة ما يختبأ خلفه؟ والجواب ان الحقد الدفين للأمويين ازاء بني هاشم قد حاول ان يطال كل ما يمت للهاشميين بصلة ومحاوله اخرى وهي الاخبث الا وهي خلق معارضة للروايات القادحة والمادحة على قاعدة عليّ وعلى اعدائي للتغطية والتمويه فيما صدر منهم من مخازي وافاعيل يتقدمهم في تلك الجرائم، معاوية الذي حاول طمس معالم الاسلام ولعل احد الشواهد في ذلك ما رواه الزبير بن بكار وغيره عن حديث معاوية مع المغيرة وفيه قوله:

وان اخا بني هاشم يصرخ به كل يوم خمس مرات اشهد ان محمداً رسول الله فأبي عمل يبقى مع هذا لا ام لك؟ والله الا دفناً
دفعاً. ٧٤

وامثال ذلك من الجرائم والموبقات ومنها تولية ابنه يزيد على رقاب الامة ما دعا الدكتور النشار للقول:

ومهما قيل في معاوية ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر وبعض اهل السنة من وضعه في نسق صحابة رسول الله فان الرجل لم يؤمن ابداً بالاسلام ولقد كان يطلق نفثاته على الاسلام كثيراً ولكنه لم يكن يستطيع اكثر من هذا ... فلم يكن الرجل ابداً مسلماً تام الاسلام كان جاهلياً بمعنى الكلمة. ٧٥

ولم يكن النشار السياق لهذا القول وانما قد سبقه الى ذلك يحيى بن عبدالحميد الحماني - وثقه يحيى بن معين - للقول:

مات معاوية على غير ملة الاسلام. ٧٦

٧٤. الموفقيات، ص ٥٧٦؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ٤١؛ شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥٧٣.

٧٥. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج ١، ص ١٩؛ أنظر: معاوية في الميزان.

٧٦. تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٧٦.

فمن كانت حاله هذا ليس من المستغرب بل المستبعد ان ينسج او يختلق ويفتعل لأبي طالب ولولده ﷺ الاكاذيب والاضاليل بلا رادع منه او وازع او ان يدلي لسماسته بذلك فيشاع حينئذ ان ابا طالب ﷺ قد مات كافراً نعوذ بالله حتى تنامت هذه الشائعة وبلغت اسماع ائمة اهل البيت ﷺ فأذكروها اشد النكير حتى سئل الباقر ﷺ مثلاً عما يقوله الناس ان ابا طالب ﷺ في ضحاح من نار، فقال:

لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في

الكفة الاخرى لرجح ايمانه.^{٧٦}

وتستمر هذه الشائعات والسؤال عنها الى زمن الائمة المتأخرين اما عن حقيقة ما يختبأ خلف هذا الحديث المكذوب فيمكن القول ببسر ان آباء بعض الخلفاء وممن ادرك البعثة الشريفة ولم يؤمن بل مات وهو كافر وقتل من قتل في بدر واحد وغيرها ومع ذلك لم يحرك لهم التاريخ ذيباً ولم يقلب لهم صفحة فلماذا يكون ابوطالب المستهدف فقط؟ والجواب لان ابا طالب هو والد الله الغالب علي ﷺ الذي جندل شجعانهم واذل فرسانهم وقمع باطلهم وقاتلهم حتى تشهدوا الشهادتين ومنهم قبيلة قريش فكيف تغفر له ذلك الصنيع فضلاً عن حبها اياه! وعلي ﷺ هو القائل:

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

فلم تكن الغاية زرع بذور الشك في ابي طالب ﷺ بقدر ما يكال لعلي ﷺ، كيف لا وهو نفس النبي ﷺ بصريح آية المباهلة. فلو لم يكن ابوطالب ﷺ والداً لعلي لما طاله ما ذكر والعكس صحيح بأنه لو كان والداً لمعاوية لسمعنا سيل المدائح وآيات الثناء بحقه. اما مواقفه الشهيرة ومكافحته ضد النبي ﷺ وتحمله صنوف العذاب والمعاناة وكثرة اشعاره ونثره فهي لا تنهض شاهداً على صدق ايمانه ما دام والداً لعلي ﷺ وهذه هي الحقيقة الناصعة والا فالاحاديث الكثيرة جاءت بحقه وهي طافحة بالاجلال والاكبار وناطقة بأيمانه المطلق فضلاً عن شموله بالآيات القرآنية الشاهدة على ايمانه وفضله هذا وقد ذكر الشيخ الاميني كوكبة من الآيات القرآنية ادعي نزولها فيه وقد دفعها وناقشها بأروع صور المناقشة.^{٧٨}

وتأسيساً على ما تقدم لا يبقى مندوحة للتخرصات والاكاذيب والاقاويل تخص الموضوع برجاء ان البحث قد استوفى حقه والعذر هو جهد المقل ونسأله تعالى القبول في ميزان الحسنات وما هو الا عمل تكريماً لعلم النبي ﷺ وكافله وتقديراً لخدماته الجليلة ومواقفه العظيمة واعترافاً بحميلة ووافر حقوقه على المسلمين كافة وحفظاً لرسول الله ﷺ في مربيه ومؤازره وناصره ومؤيده فسلام عليه يوم ولد ويوم لبي نداء ربه ويوم بيعت حياً لنيل شفاعته وولده اسد الاسلام الغالب ﷺ.

٧٦. شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣١١.

٧٨. الغدير، ج ٩، ص ٤٥-١١.

الخاتمة

كُتِبَ علماء المسلمين كتابات متعددة ونافعة حول شخصية أبي طالب عليه السلام بقصد الاستدلال على إيمانه الكامل وفي جميع ادوار التاريخ الاسلامي منذ عصر التأليف وعلى مختلف الاصعدة سواء العلمية منها ام المناحي المذهبية واتفقوا مؤكدين على قضية إيمانه المطلق ومن حاول مخالفة ذلك الانتفاق فإنه لا يعتد به لانه مخالف للحس والوجدان. فقد قام الدليل العلمي والبرهان العملي على صلابة مبدئه وقوة عقيدته و كونه اختص بالتوحيد الخالص والمؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم. فقد طفح إيمانه غامراً قلبه ولسانه يضاف الى ذلك ما كتبه عنه مترجموه من كونه شريفاً في قومه ذا عزة ومنعة وهمة عالية و اباء للنفس مشتهراً بجلال الصفات وحميد الفعال كما كان عالماً بأيام العرب شاعراً وناثراً مؤثراً واديباً كبيراً ومجاهداً في سبيل الدين والعقيدة، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر لم تدنسه عادات الجاهلية هو وأسرته ولم يعرف الرذائل والموبقات ولا سجد لصنم.

كان محترماً مطاعاً مهيباً بين قومه وعشيرته حتى كفل الرسول صلى الله عليه وسلم وقام برعايته وحمايته الى اخر قطرة من حياته ولأجل هذه المواقف والمشاهد فقد دافع عنه المنصفون واثبتوا بالأدلة القاطعة إيمانه وفضله وقد حاول بعض المخالفين ومنهم اعداؤه اخفاء فضائله بادعاء آيات قرآنية واحاديث اخرى نبوية نسبت له الشرك وانه مات على غير دين التوحيد، غير ان العلماء المنصفين تصدوا لتلك الشائعات واثبتوا زيفها وبطلانها. سواء من ناحية السند ام من ناحية المتن بما هو مسطور في غضون البحث وفي ثنايا مفاصله المتشعبة فلم تقلح محاولات المخالفين والاعداء الحاقدين برغم ذلك الاصرار والعنادوكان ابوطالب عليه السلام عندها طود الاسلام الشامخ وعموده الباسق.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. ابوالائمة الاطهار سيد البطحاء ابوطالب، الاسدي فيصل، بيروت: مؤسسة الاندلس.
٣. ابوطالب عم النبي، عبدالعزيز سيد الاهل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
٤. ابوطالب و بنوه، علي خان محمدعلي، النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م.
٥. الاخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، تحقيق سامي مكي العاني، بغداد: مطبعة الاوقاف.
٦. اسنى المطالب في نجاة ابي طالب، دحلان احمد زيني، الاردن: دار الامام النووي، ط٢، ١٤٢٨ق.
٧. الامام علي صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، البحرين، دار و مكتبة صعصعة، ٢٠٠٣م.
٨. بيكيت و صاحبه، انقره، ١٩٦٣م.
٩. تاج العروس، الزبيدي مرتضى، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م.
١٠. تاريخ الامم و الملوك، الطبري محمد بن جرير، مصر: دار المعارف، ١٩٦٧م.
١١. تاريخ بغداد، البغدادي الخطيب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
١٢. تدليس الشيوخ، ابوسمحه عبدالسلام، بيروت: دار المقتبس، ٢٠١٤م.
١٣. التدليس والمدلسون، الغوري عبدالماجد، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢ق.
١٤. تذكرة الخواص، ابن الجوزي ابوالمظفر، بيروت: مؤسسة اهل البيت عليهم السلام، ١٤٠١هـ

۱۵. التفسیر الكبير، الرازي الفخر، بيروت: دار احیاء التراث العربي، ۱۹۹۵م.
۱۶. تقریب التهذیب، العسقلاني، ابن حجر، بيروت: دار المعرفة، ط ۲، ۱۹۷۵م.
۱۷. التهذیب، ابن حجر، تهذیب بيروت: دار صادر، ط ۱، بی تا.
۱۸. جامع الاصول، ابن الاثیر الجزري، تحقیق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار احیاء التراث العربي، ۱۹۸۴م.
۱۹. الجامع الصحيح، البخاري محمد بن اسماعيل، بيروت: مطبعة دار الفكر ۱۴۱۴ق.
۲۰. حجة الذهاب الى ايمان ابي طالب، الموسوي صفاء الدين، (بدون معلومات للكتاب).
۲۱. الخنيزري عبدالله، مؤمن قريش، قم: مطبعة سرور، ۱۴۲۵ق.
۲۲. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، بيروت: دار الفكر، ۱۴۰۳ق.
۲۳. ديوان ابي طالب، جمع و تحقيق و شرح: باقر قرباني، طهران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط ۱، ۱۴۱۶ق.
۲۴. ديوان الضعفاء و المتروكين، تحقيق: حماد الانصاري، مكة: نشر مكتبة النهضة الحديثة.
۲۵. روح المعاني، الألوسي البغدادي، بيروت: دار احیاء التراث العربي، ۱۹۸۵م.
۲۶. سؤالات ابن ابي شيبه لعلي بن المدني، عبدالقادر موفق عبدالله المحقق، الرياض: مكتبة المعارف.
۲۷. سير اعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ۱۹۸۱م.
۲۸. سيرة ابن اسحاق، ابن اسحاق محمد بن اسحاق، تحقيق: محمد حميد الله، طبع قونية، ۱۴۰۱ق.
۲۹. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: طه عبدالرؤوف، بيروت: دار الجيل، ۱۹۸۵م.
۳۰. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم، بيروت: دار احیاء التراث العربي، ط ۲، ۱۹۶۷م.
۳۱. صحيح مسلم، النيسابوري مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت: ۱۹۷۸م.
۳۲. الضعفاء الكبير، العقيلي محمد بن عمرو، بيروت: دار الكتب العلمية، ۱۴۰۴ق.
۳۳. الطبقات الكبرى، ابن سعد، بيروت: دار صادر، ۱۹۸۱م.
۳۴. طبقات المدلسين، العسقلاني، ابن حجر، دهلي، الهند: دار العلمية، ط ۲، ۱۴۰۶ق.
۳۵. العقد الفريد، ابن عبدربه، بيروت: دار الكتب العلمية، ۱۹۸۳م.
۳۶. العلل و معرفة الرجال، احمد بن حنبل، تحقيق: طلعت فوج ابوطالب، (بدون معلومات للكتاب).
۳۷. الغدير، الاميني عبدالحسين، قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، محمد، ط ۴، ۲۰۰۶م.
۳۸. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين، بيروت: دار احیاء التراث العربي، ۱۹۸۸م.
۳۹. مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: عبدالامير المهنا، بيروت: مؤسسة الاعلمي، ۱۹۹۱م.
۴۰. معاوية في الميزان، العقاد عباس محمود، القاهرة: سلسلة كتاب الهلال، ۱۹۵۶م.
۴۱. معجم ما الف عن ابي طالب، المنتفكي عبدالله، مجلة تراثنا، قم: مؤسسة ال البيت لأحياء التراث، مطبعة ستارة، العددان الثالث والرابع، السنة السادسة عشرة، ۱۴۲۱ق.
۴۲. مقال عن أبي طالب عليه السلام، الامين حسن مجلة العربي الكويتية، العدد ۱۱، شوال، ۱۹۶۷م.
۴۳. ميزان الاعتدال، الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، بيروت: دار المعرفة، ۱۹۶۳م.
۴۴. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، النشار علي سامي، مصر: دار المعارف، ۱۹۷۷م.
۴۵. نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار، الشبلنجي مؤمن، (بدون معلومات للكتاب).